





رسالة .. إلى طالب في المرحلة الثانوية

كتبه : د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي





والحق، أن هذه المرحلة، من أفضل، وأخصب، مراحل العمر، خلافاً للمفهوم السائد، الذي ولّدته ظروف استثنائية في حياة الأمة؛ فالمتتبع لتاريخ الإسلام، يدرك بسهولة، أن معظم السابقين إلى الإسلام، تتراوح أعمارهم بين العاشرة والعشرين، وأن الشباب كانوا يمثلون النسبة الكبرى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.




وقد أدرك ذلك المؤرخون، من غير المسلمين؛ يقول (مونتقمري وات) في كتابه " محمد في مكة ": (لقد انتمى إلى الإسلام شباب ينحدرون من أفضل العائلات، وأشهر القبائل، وإن أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الأوائل : هي أن الإسلام كان في الأساس حركة شباب) .

وقد أحببت، أن أتوجه بحديث صادق، ناصح، واضح، إلى هذه الفئة الغالية من أبنائنا، الذين يستقبلون ما كتب الله لهم من عمر، ويرودون أرضاً بكراً، ليتبصروا مواضع أقدامهم،





ويستضيئوا بنور الوحيين، ويستفيدوا من تجارب من سبقهم، في زمن بات شباب الأمة الإسلامية مرتعاً خصباً، وكلأً مباحاً، للعاديات الغربية، والشرقية؛ بآلتها الإعلامية الهائلة، وإغراءاتها الفتانة، لاستزلالهم عن دينهم، وثقافتهم، وأخلاقهم، وسلخهم عن تاريخهم، وتغييبهم عن حاضرهم، وصرفهم عن التفكير في مستقبلهم، وإحلال أفكارهم المادية الإلحادية، وثقافاتهم الدنيوية الغثائية، محل العقيدة الإسلامية، والشريعة المحمدية. خابوا، وخسروا !

أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يجعل هذه المرحلة، مرحلة إعداد، وانطلاق، لعمرٍ مبارك، وجهدٍ مثمر، وحياة سعيدة، وخاتمة حميدة، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

كتبه : د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي

١٤٣٠/٨/١





رسالة .. إلى طالب في المرحلة الثانوية

كتبه: د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي







الابن المكرم : حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد :

فحين هممت أن أسطر لك هذه الأحرف، تداعت إلى مخيلتي تلك الذكريات الجميلة، حين كنت في مثل سنك، أغدو، وأروح، إلى المدرسة الثانوية، بهمةٍ، ونشاط، وأتقلب بين فصولها، وملاعبها، وأنخرط في أحاديث مفعمة بالحيوية، مع أساتذتي، وزملائي. لقد كانت مرحلةً مميزة بأحداثها، ومشاعرها، وفكاهاتها، ومعاناتها.

وقد مرَّ بي، أي بني، أجيال من الشباب أمثالك، إبان عملي في حقل التدريس، وأتيح لي أن أصغي إلى كثير من معاناتهم، وتجاربهم، وأن أحدثهم بروح الأخ الناصح، حيناً، والأب المشفق، حيناً لاحقاً. وإني على يقين أن هذه المرحلة ذات تأثير بالغ على مستقبل العمر، سلباً، وإيجاباً؛ فهي مرحلة



الاستبصار، والتفتح، كما أنها مرحلة البناء والتكوين. وهي مرحلة الإثارة، والتأثر، كما أنها مرحلة الاعتداد، والتمرد.

ولمَّا كانت أيامك هذه مفارق طرق، ومطالع أفق، أحببت أن أنصب لك بعض العلامات، والإشارات، علَّها أن توجه المسيرة، وتحفظ السريرة، حفظك الله ورعاك.




أولاً : أنت عبدٌ مكلف، فاتق الله !

لقد جاوزت، أي بني، سني الطفولة، وميعة الصبا، ووضع عليك القلم الذي كان مرفوعاً بسبب صغرك، كما في حديث عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وصححه الألباني، وبِتَّ رجلاً مكلفاً، يجري عليك القلم : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق: ١٨،



(ليْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا) النساء: ١٢٣. هل أدركت هذا ؟

يدور في خلد بعض الفتيان، أمثالك، أن الاستقامة وظيفة الكبار، الطاعنين في الأعمار، وأن من حق الشاب أن يتقحم المحظورات، ويغشى بعض المحرمات، لكونه معذوراً بفوعة الشباب، واضطرام الشهوة، حتى إذا ما احدودب الظهر، وشاب الصدغان، وانحطت القوى، أوى إلى سارية في المسجد يستغفر، ويستعتب! وربما لا يفوه بذلك بلسان المقال، ولكن بواقع الحال. ألا فليعلم هؤلاء أن خطاب الشارع للمكلفين يشملهم، وأن حمى الله محارمه، فلا يقربوها، ولا يعتدوها.

ألم ترَ، يا رعاك الله، أن نبينا صلى الله عليه وسلم، توجه بأجمل المواعظ، وأبلغها تأثيراً، للفتيان أمثالك؟ فقال لابن عباس، رضي الله عنهما، الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ناهز الاحتلام : (يا غلام! إني أعلمك كلمات :



احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت، فاسأل الله. وإذا استعنت، فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام، وجفت الصحف) رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني. وقال لكلٍّ من أبي ذرٍ، وأبي هريرة ، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهم و كانوا من شبان المسلمين : (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن صحيح

وقال ابن عمر، رضي الله عنهما، وكان من فتيان الصحابة: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح. وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء. وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) رواه البخاري.





أرأيت، وفقك الله، أن هذه المواعظ لم تَسَق لشيخٍ فانٍ، يقف على شفير القبر، بل لفتيةٍ يستقبلون أعمارهم، وآمالهم. ولم يحملهم ذلك على الانسحاب من الحياة، والانكفاء على الذات، بل كانت حياة هؤلاء الأماجد مفعمةً بالأحداث، تضج بالعطاء؛ من علمٍ، وجهادٍ، وتجارة.

وما الذي يضمن لك، يا فتى، أن يُمد لك في العمر، ويُنسأ لك في الأثر، حتى تحدث توبةً بأَخَرَة ؟! ألا تشاهد من أقرانك، ومن دونك، من يتخطفهم الموت في ريعان الشباب، وأمانيهم كبار، وآمالهم عريضة؟ وهب أنك وهبت عمراً مديداً، هل تضمن أن توهب قلباً سليماً، وصدراً، منشرحاً، وقوة، وصحةً، وفراغاً ؟! ألا ترى بعض الطاعنين في السن، من جيرانك، ومعارفك، لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون ؟! فاتق الله، يا بني ! واحفظ جوارحك :









احفظ سمعك عن الخنا، والمعازف، والفجور، والإصغاء إلى قالة السوء.

احفظ بصرك عن العورات، المبذولة في الأسواق، والمجلات، والمواقع، والقنوات.

احفظ لسانك عن القيل والقال، والغيبة، والنميمة، والخوض فيما لا يعنيك.

احفظ فرجك عن الزنا، واللواط، والاستمناء باليد، ولا تحرق زهرة شبابك.

احفظ عقلك عن التفكير فيما حرم الله، أو فيما يؤذيك من الغل، والحسد.

واعلم يا بني، أن التوبة تغسل الحوبة، وأن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، وأن الوقاية خير من العلاج.



ثانيا : أنت ذو طاقة ذهنية، فاغتنمها :

إن من الخصائص المميزة لطالب المرحلة الثانوية : النمو العقلي، والنشاط الذهني. فلم يعد عقلك محصوراً في الأشياء المادية، المحسوسة، كما كنت في المرحلة المتوسطة، بل نشأ عندك نوعٌ من التفكير المجرد، الذي يدرك المعاني، والقيم. ولم يعد تفكيرك منحصراً في الاهتمامات الفردية الطفولية، بل اتسع إلى ما يشبه التفكير الجماعي . ومن التفكير الموجه للخارج فقط ، إلى التفكير القادر على تأمل الذات ، وتأمل المحيط الخارجي في الوقت نفسه . كما أن قدرتك على الحفظ والاستيعاب، قد زادت.

وتأسيساً على ما مضى، فإياك أن تهدر هذه القوى في العبثيات، وقتل الأوقات. اغتنم هذه المرحلة الذهبية لبناء القدرات الذهنية، وتوفير المخزون العلمي الذي سيظل، بعون الله، يمدك بقية الحياة. عليك أن تلتزم التزاماً طوعياً،



بجملة من المشاريع المفيدة، المناسبة لقدراتك، وظروفك الخاصة، مثل :

١- حفظ القرآن العظيم .

٢- طلب العلم، وحفظ المتون .

٣- القراءة النافعة .

٤- حضور الدورات التدريبية المفيدة في مختلف التخصصات .





وتأمل دوماً، كيف يصدِّر الله تعالى، الدعوة إلى الصالحات، والمكرمات، بقوله: (وسارعوا) و (سابقوا) ! فالأمر لا يحتمل التأجيل.

وتذكر، دوماً، قوله صلى الله عليه وسلم : (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا) رواه مسلم ، وقوله : (**بادروا بالأعمال سبعاً ؛ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً**





رسالة .. إلى طالب في المرحلة الثانوية

مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال؛ فشر غائب ينتظر، أو الساعة؛ فالساعة أدهى، وأمر) رواه الترمذي.

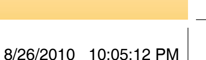
وكن قوياً في أمورك كلها فـ (المؤمن القوي خيرٌ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز) رواه مسلم.

واعلم أن نفسك إذا لم تشغلها بالطاعة، أشغلتك بالمعصية.

واحذر من العوائق الأربعة : الوهم، والتسويف، والكسل، والمعصية.

وعليك بالمحفزات الأربعة: العزم، والحزم، والنشاط، والطاعة.










ثالثا : أنت ذو عاطفة جياشة، فاضبطها :

تتميز هذه المرحلة بجملة من التغيرات النفسية، والانفعالية، من أبرزها :

١. حدة الانفعالات المتقابلة : من حبٍّ، وكره، ورحمةٍ، وغضب، ووَجدٍ ، وامتنان، وإعجابٍ، وازدراء. ومردُّ ذلك إلى صدق المشاعر، ورهافة الإحساس

٢. الشعور بالخوف ، والقلق على الذات ، والمستقبل : كالخوف من الامتحانات، والقلق تجاه الأحداث العالمية، والمحلية.

٣. الذاتية : قوة الشعور بالذات، والتحسس للانتقادات.

وقد لا تدرك يا بني، هذه التحولات النفسية، كما يدركها من حولك. وأياً كان، فأنت بحاجة ماسة إلى ضبطها، وترشيدها لتتحول إلى قوةٍ دافعةٍ، بدلاً من أن تعود وبالاً عليك. والضابط العام الذي يحتوي هذه الانفعالات هو



تقوية الصلة بالله تعالى، وتنمية العبادات القلبية؛ من الحب، الخوف، والرجاء، والتقوى، والتوكل، والتواضع لله.

فقد تفرط في حب أحدٍ ما؛ من فتىً، أو فتاةٍ، حباً يحملك على الوقوع في الحرام، بدرجات متفاوتة، أو يؤذي مشاعرك المرهفة، فيقيك حبك لله، وفي الله، الشطط، ويضبط المعادلة.

وقد تمعن في كره أحدٍ ما، ويشتعل قلبك غيضاً عليه، فتَهِم بأذيته، فتمنعك تقوى الله من العدوان على حرمات المسلمين، وتغلِّب جانب العفو، والصفح.

وقد تطغى عليك مشاعر القلق، والتوتر، من جراء ترقُّبِ امتحان، أو حدثٍ عام، وتكدر صفوك، وتشل حركتك، فيسعفك التوكل على الله، فيطامن نفسك، ويسكِّن روعك.

وقد يتملَّكك الخيال، و(الشخصانية)، والاعتقاد بأنك محط أنظار الناس، واهتمامهم، فتسيء فهم أقوالهم،



وتصرفاتهم، وتؤسس عليها مواقف خاطئة، فيدركك التواضع والإخبات، فتعيد الأمور إلى نصابها.

وبالجملة، فإن صراحة الإيمان، وقوة الصلة بالله، خير سبيل لضبط هذه الانفعالات، وتخفيف آثارها السلبية، وتوجيهها الوجهة الصحيحة الإيجابية. وبناءً عليه، فإني أوصيك، في هذا السبيل، بأمور :




١. تذوَّق الصلاة، وحقِّق الخشوع ، وافزع إليها في كل ملمة .

٢. استغرق في الدعاء، واجعله سلاحك .

٣. اشهد حلق الذكر، ومجالس الإيمان، وأقم علاقات إيمانية.

٤. استشر أهل الفضل، والعقل، والصلاح، قبل أن تقدم على فعل .



واحذر، يا بني، من أمور :

١. وسائل الصرف، غير الصحي، المتمثلة في الهرب إلى الملذات، والملهيات، والمحرمات، فإنها لا تزيدك إلا سوءً، ولا ترفع عنك بلية.

٢. مخالطة رفاق السوء، وأهل البطالة .

٣. الخلوة، والفراغ، والعزلة .

٤. الاعتداد بالرأي، وتنقص الآخرين .

رابعاً : أنت عضوٌ في مجتمع، فأحسن عشرته :

الإنسان مدني بطبعه، يحب المؤانسة، ويألف الناس. وقد بلغت، يا بني، مبلغ الرجال، وصرت عضواً كامل العضوية في مجتمعك الإسلامي؛ لك حقوق، وعليك واجبات. لم تعدْ كلاًّ على غيرك، كنت بالأمس محمولاً، واليوم تحمل نفسك، وغداً تحمل غيرك، فهيئ نفسك.





وأعظم رابطة اجتماعية تشدك إليها، بيتك ! فليكن مستراح قلبك، ومهوى فؤادك. ولا تجعل منه ساحة صراع، وحالة اغتراب. فإن وجدت غير ذلك، فابحث عن الأسباب، فلكل داءٍ دواء، ولكل مشكلة حل.

والدائرة الاجتماعية التالية، هم ذوو رحمك؛ من أعمام، وأخوال. فكن براً، وصولاً، ولا تكن قاطعاً منوعاً.




وفي المجتمع أخلاط من البشر، على درجات شتى، ومستويات دينية، وخلقية، وثقافية متفاوتة. تلحظ ذلك بين زملائك؛ لأنهم مخرجات بيوت، ونتاج تربية مختلفة. ومن خالص حقك أن تكوِّن علاقات اجتماعية، وصداقات شخصية خاصة. ولكن ! كن دقيقاً في اختيار أصحابك، ولا تضع يدك في يد من هب، ودب، ومشى، ودرج. وفي الحديث: (**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**) رواه أحمد، والترمذي، وأبو داوود. وقال النووي : إسناده صحيح



وقد قيل :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ألا ترى أنك حين تذهب لشراء حذاءٍ تلبسه في قدميك، وتطأ به التراب، والقاذورات، تستعرض أصناف الأحذية جيئةً، وذهاباً، حتى يقع بصرك على حذاءٍ يروق لك، ويلائم حاجتك ؟ فكيف بمن تصطفيه ليطلع على خبيئة نفسك، وخاصة أمرك، ثم تصغي لقوله، وتستروح لرأيه ؟! ألا يستحق اختياره منك مزيد عناية ؟

تلك يا بني، نصيحة مشفق، وخلاصة تجارب، فتقبلها بقبول حسن، وأجِلْ فيها النظر بعد النظر، حتى تتمكن في قلبك، وعقلك. حفظك الله في شبابك، وهرمك، ودنياك، وآخرتك. وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

الداعي لك بخير

د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي ١٤٣٠/٨/١